

غرور واستكبار الإنسان إبراهيم يحيى أبو ليلي



بسم الله الرحمن الرحيم....

توقفت كثيراً أتأمل الآية الكريمة في سورة الإسراء وتعجبت كثيراً من قول كفار قريش لسيدنا محمد ﷺ والذي حكاه لنا ربنا في هذه السورة والموقف المشركين دعونا نقرأ سوياً هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى بعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحْتِهَا تُنْفَجِرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تُفَجِّرُهَا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِئًا مِّنَ السَّمَاءِ وَتَكُونُ لَكَ يَنبُوتٌ مِّنْ تَحْتِهَا أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزَيْتِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَ سَائِرِ الْبَشَرِ) ، أي غرور هذا وأي صلف وغطرسة واستكبار ولماذا كل هذه المطالب اليس في الدنيا بشرا وخلقاً غيرهم والله غني عن عباده وهم اليه فقراء إن الله له خلق لا يحصيه الا هو سبحانه في السموات وفي الارض وفي كل بقعة من هذا الكون الفسيح الذي يحير عقول البشر وكل هذه المخلوقات تسبح الله وتقدهسه ومن هم هؤلاء المتغطرسون الظالمون لأنفسهم ومن يضمن لو أنهم أعطوا ما طلبوا أنهم بعد ذلك سوف يؤمنون، هم كاذبون مخادعون دجالون بدليل أن أحدهم قال لرسول ﷺ كما ذكر القرطبي في تفسيره لهذه الآية (وقام معه - أي مع رسول الله ﷺ - عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمته ، هو لعائكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوكم لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوكم أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوكم أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ إلي السماء سلما ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أنني أصدقك) ألم اقل لكم إنهم مخادعون وقومٌ عُدرٌ وغرهم حلم الله ورحمته ثم حرص الرسول محمد ﷺ على إيمانهم ليخرجهم من الضلال الى الهداية ومن الظلمات التي يعيشون فيها الى نور الحق الأبلج ومع ذلك يقول الرسول الكريم والرحمة المهداة للبشرية ﷺ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " مثلي كمثل رجل استوقد نارا ، فلما أضاءت ما حولها ، جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، وجعل يجزهن ويغلبهن فيتقحمن فيها ، فأنا أخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقحمون فيها) ومع ذلك كله يضعون الشروط التي يظنون لقصر رأيهم انها معجزة وما علموا أو أنهم علموا وعاندوا أن الله مالك الملك لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض وأنه يقول للشيء كن فيكون في لمح البصر أو هو أقرب هو المتصرف في خلقه وبرغم كفرهم وعنادهم عاملهم الله بلطفه فأرسل لهم رسولا منهم ليدلهم على الخير ولما فيه سؤددهم وشرفهم وأن يجردوا عقولهم من ضلالها وتحكم الشيطان بها وبدلاً من ذلهم وتحكم الامبراطوريات التي كانت تتحكم بهم من روم وفرس أعطاهم ملكاً وجعلهم سادة وقادة على الأمم يفتحون دولاً وأمراطوريات ما كانوا يظنون أنهم يبلغوا شأوها كانوا يعبدون حجارة صماء واخشاب لا تضر ولا تنفع ميلادهم أقدم من ميلادها خلقها الله لنفعهم فجعلوها آلهة يسجدون لها ويقدمون لها القرابين بزعمهم أنها تقربهم الى الله زلفى جاء محمد رسول الله ﷺ ليعلمهم ويخبرهم أن ربهم وخالقهم قريب مجيب لا يحتاجون للوصول إليه الى واسطة وأنه سميع بصير ليس كمثله شيء ويخبرهم أن هذه الآلهة إنما هي من تخطيط إبليس وتلبيسه لكي يجعلهم رهائن لشهواتهم وضلالهم وسوء منقلبهم ومع ذلك طلبوا ما طلبوا من أمور ظنوا كما اسلفنا أنها تعجزه ليطلوا سادة مكة لا ينازعهم فيها احد ولأن السيادة والريادة هي غايتهم ومطمعهم قالوا لرسول الله ﷺ لو اردت جاهها وسيادة توجناك ملكاً علينا مساكين لم يدركوا ان الأمر أكبر من النفوذ والجاه الدنيوي بكثير وأن الأمر متعلقاً بالخلود في الآخرة بالجنة والنار وهذا الأمر يظل إلى قيام الساعة الصراع بين الحق والباطل بين أنصار الحق ومناصري الباطل وفي النهاية لا يصح إلا الصحيح وأمر الله نافذ لا محالة وان الباطل مهزوم وسوف يدمغه الحق فيولي دون رجعة...

فاللهم بصرنا بعيوبنا وأثر لنا طريق الحق والعدل والرشاد.

إبراهيم يحيى أبو ليلي